المدرسة اللغوية الدمشقية الحديثة(*)

القسم الثاني : المجالات التطبيقية للنظرية العامة ولنتائج دراسة العربية في ضوئها

بقلم : الدكتور جعفر دك الباب

يستهدف القسم الملحق بيان المجالات التطبيقية لنظريتنا العامة حول نشأة الإنسان واللغة الإنسانية، ولنتائج دراستنا للغة العربية في ضوئها التي تمثلت في نظرتنا الصوتية الجديدة في دراسة المعجم العربي وفي طريقتنا الصوتية الجديدة في وصف قواعد صرف العربية ونحوها. ويشتمل على بعض المشاريع التي نقترح تنفيذها بإشرافنا أو بمشاركتنا. لذا يتألف هذا القسم من خمسة بنود هي :

الأول ـ مجالات تطبيق نظريتنا العامة الجديدة حول نشأة الإنسان واللغة الإنسانية.

الثاني ـ مجالات تطبيق نظرتنا الصوتية الجديدة في دراسة المعجم العربي.

الثالث ـ مجالات تطبيق طريقتنا الصوتية الجديدة في وصف قواعد صرف العربية ونحوها.

الرابع ـ بعض المشاريع المقترحة للتنفيذ بإشرافنا وبمشاركتنا.

الخامس ـ مشروع طموح.

أولا ـ مجالات تطبيق نظريتنا العامة الجديدة حول نشأة الإنسان واللغة الإنسانية.

تقرر نظريتنا العامة الجديدة أن **القانون الأساسي في جميع اللغات الإنسانية هو مبدأ تقطيع السلسلة الصوتية للكلام الإنساني إلى مقاطع صوتية يتألف منها.** وتقضي **بتمييز الأصل في المعجم اللغوي عن أصل الاشتقاق في النظام اللغوي (أي القواعدي : الصرفي والنحوي). فالأصل في المعجم** رصيد للأصوات اللغوية التي تتألف منها مفردات اللغة من ناحية، وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية. **وأصل الاشتقاق في النظام القواعدي** هو الصيغة اللغوية الإنسانية الأولى ـ الصيغة العامة للطلب (الأمر) الشخص الثاني التي كانت تفيد جملة ضمن سياق استخدامها.

لذا فإننا نرى أن أي **لغة إنسانية يمكن أن يعاد النظر في وصف نظامها القواعدي (الصرفي والنحوي) وفقا لنظريتنا،** أي انطلاقا من أصل الاشتقاق في نظامها القواعدي هو الصيغة العامة للطلب (الأمر) للشخص الثاني.

ثانيا ـ مجالات تطبيق نظرتنا الصوتية الجديدة في دراسة المعجم العربي.

تقوم نظرتنا الصوتية الجديدة إلى المعجم العربي على **القانون التالي : الأصل الحقيقي في المعجم هو الرصيد الذي يشتمل على الحد الأدنى من الصوامت**

(*) (نشر القسم الأول من البحث وعنوانه «المدرسة اللغوية الدمشقية الحديثة ـ عرض موجز لأسسها العامة» في العدد37 من مجلة (اللسان العربي) لعام1993).

المشتركة بين جميع الكلمات التي تشترك في العنقود الاشتقاقي الدلالي الواحد وبالترتيب نفسه.

لذا فإننا ندعو لدى دراسة نظام المعجم العربي إلى التمييز بين أصل معجمي حقيقي وأصل معجمي مفترض. ونؤكد بعد ذلك تمسكنا بمبدأ الرجوع إلى الأصل الثلاثي أو الرباعي المجرد من حروف الزيادة. ونشير إلى أن قانون النظرة الصوتية الجديدة إلى المعجم العربي يمكن من تحديد الأصول المعجمية الحقيقية بالنسبة لما ينظر إليه في الصرف العربي على أنه أصول ثلاثية غير سالمة. ونرى أن القواعد الصرفية الخاصة بالثلاثي غير السالم تشير إلى البعد الزمني (التاريخي) في نظام المعجم العربي.

إن تمييز أصول معجمية حقيقية (ثلاثية الصوامت السالمة أو رباعية الصوامت) يشير إلى أنها ترجع إلى الطور الأول من نشأة اللغة العربية ــ طور محاكاة أصوات الحيوان وظواهر الطبيعة. كما أن تمييز أصول معجمية حقيقية أخرى (ثنائية الصوامت المضعفة وثنائية الصوامت غير المضعفة وأحادية الصوامت) يشير إلى أنها ترجع إلى الطور الثاني من نشأة اللغة العربية ــ طور التواضع الانساني وانتفاء المحاكاة. ويعني ذلك أن المادة اللغوية للعربية ــ المتوافرة إلى يومنا الراهن والتي حفظها لنا نظام المعجم العربي ــ تقدم شواهد تاريخية علمية تشير إلى أن نظام المعجم العربي يعكس جميع المراحل التي مرت بها نشأة الإنسان واللغة الإنسانية. ويثبت ذلك بشكل قاطع أن اللغة العربية أصل قائم بذاته.

ويترتب على هذه الحقيقة العلمية الجديدة التي كشفناها إعادة النظر في تاريخ اللغة العربية عن طريق نظرة جديدة إلى فقه اللغة. تنطلق (النظرة الجديدة) إلى فقه اللغة من أن أصالة اللسان العربي التي تشير إليها الخصائص البنوية للعربية توجب إعادة النظر في المسلمة القائلة (إن اللغة العربية تنتمي إلى أسرة اللغات السامية أو أسرة اللغات السامية الحامية). وتعتمد في دراسة المادة اللغوية للعربية منهجا تاريخيا علميا استنبطناه من التئام بين نظرتي ابن جني (في الخصائص) ونظرية عبد القاهر الجرجاني (في دلائل الإعجاز). وتقضي (النظرة الجديدة) بدراسة الخصائص البنوية المميزة للعربية في مستوى الأصوات اللغوية ونظام الكتابة وفي مستوى المفردات ومستوى التراكيب، وفق نظريتنا حول نشأة الإنسان واللغة الإنسانية وباستخدام منهجنا التاريخي العلمي.

ثالثا ــ مجالات تطبيق طريقتنا الصوتية الجديدة في وصف قواعد صرف العربية ونحوها.

تنطلق طريقتنا الصوتية الجديدة في وصف قواعد صرف العربية ونحوها ــ التي نسميها (نظرية جديدة في دراسة بنية اللسان العربي) ــ من أنه كان يوجد أصل واحد للاشتقاق في النظام القواعدي (الصرفي والنحوي) للعربية هو الصيغة العامة للطلب (الأمر) للشخص الثاني. وتستوجب النظرية الجديدة طرح طريقة جديدة في دراسة تصريف الأفعال في العربية وطريقة جديدة في دراسة النحو العربي.

تقضي الطريقة الجديدة في دراسة تصريف الأفعال بقلب ما هو سائد في الصرف العربي بالنسبة لتصريف الأفعال (الماضي ← المضارع ← الأمر) وعكس اتجاه التصرف ليصبح (الأمر ← المضارع ← الماضي). وتحدد الطريقة الجديدة خمسة أنماط لصيغة فعل الأمر المجردة تتحقق في ثلاثة عشر وزنا. وتقضي الطريقة الجديدة في دراسة النحو العربي بقلب ما هو سائد في النحو العربي حول

الأصل والفرع بالنسبة للأسماء وهو أن (الأصل في الأسماء هو الإعراب والبناء فرع عليه) ليصبح معكوسا (الأصل في الأسماء هو البناء والإعراب فرع عليه) كما هو الحال بالنسبة للأفعال حيث (الأصل في الأفعال هو البناء والإعراب فرع عليه).

لذا **ندعو إلى إعادة النظر في وصف النظام القواعدي للعربية (الصرف والنحو) انطلاقا من أن أصل الاشتقاق في العربية هو الصيغة العامة للطلب (الأمر) للشخص الثاني**، وذلك وفق نظريتنا في دراسة بنية اللسان العربي. تستند (النظرية الجديدة) في دراسة بنية اللسان العربي إلى **منهجنا التاريخي العلمي في تحديد (الأصل والفرع) على محور الزمان، من أجل الكشف عن أسباب تمتع العربية بخصائصها البنوية المميزة**. وتركز على دراسة القواعد الخاصة بالاستثناءات في صرف العربية ونحوها، وذلك لكشف مسار التطور التاريخي لنشأة النظام الصرفي للعربية واكتماله ونشأة النظام النحوي للعربية واكتماله. **وبعد الكشف عن الأسباب التاريخية لتمتع العربية بخصائصها البنوية المميزة، تقترح (النظرية الجديدة) وصف قواعد صرف العربية ونحوها في مرحلة ما بعد اكتمال النظام الصرفي والنحوي للعربية. ويتم هذا الوصف باستخدام المنهج الوصفي الوظيفي (الذي يصف البنية اللغوية ويبين وظيفتها الإبلاغية) عن طريق تحديد أنماط بنوية وظيفية للكلم والجمل في العربية.**

رابعا ـ بعض المشاريع المقترحة للتنفيذ بإشرافنا وبمشاركتنا

المشروع الأول : **تشكيل فريق عمل لإعادة النظر في تاريخ اللغة العربية واللغات (اللهجات) المختلفة في شرق شبه الجزيرة العربية وفي اليمن وفي شمال إفريقيا.**

يتبنى فريق العمل (نظرتنا الجديدة إلى فقه اللغة) التي تنطلق من أن أصالة اللسان العربي التي تشير إليها الخصائص البنوية المميزة للعربية توجب **إعادة النظر في المسلمة القائلة إن (اللغة العربية تنتمي إلى أسرة اللغات السامية أو أسرة اللغات السامية ـ الحامية)**. ويسترشد **بالحقيقة العلمية الجديدة التي كشفناها والتي تثبت بشكل قاطع أن اللغة العربية أصل قائم بذاته**. ويعني ذلك بالتأكيد أن العربية ليست فرعا من اللغة السامية الأم أو اللغة السامية ـ الحامية الأم كما هو سائد إلى الآن.

وكنا قد بينا رأينا في الموضوع في بحثين هما :

أ ـ **(السامية والساميون ـ العرب والعربية)** نشر في مجلة (الموقف الأدبي) بدمشق ـ العدد 117، كانون الثاني 1981.

ب ـ **(اللهجات اليمنية القديمة وعلاقتها باللسان العربي)** نشر في مجلة (الإكليل) بصنعاء ـ العدد الأول، السنة الثانية ـ صيف عام 1982.

وأكدنا فيهما أننا **نرفض فرضية (أسرة اللغات السامية أو أسرة اللغات السامية ـ الحامية) لأن الشواهد التاريخية العلمية لا تؤيدها.** وذكرنا أن ذلك لا يعني أننا نرفض الإقرار بوجود شبه كبير (من حيث الأصوات والمفردات والصرف والنحو) في اللغات التي صنفت ضمن أسرة اللغات السامية أو أسرة اللغات السامية ـ الحامية. وأشرنا إلى أن **دراستنا للمادة اللغوية للعربية، باستخدام المنهج التاريخي العلمي، كشفت ثلاثة أطوار مر بها اللسان العربي في مسار تطوره التاريخي** تتميز بوجود اختلافات في نمط البنية الصرفية والنحوية. وهذه الأطوار هي :

الأول ـ الطور القديم : ويدخل فيه مجموعة اللغات (اللهجات) العربية القديمة التي تستخدم أداة التعريف (ن) في آخر الاسم، واصطلح على تسميتها اللغات اليمنية القديمة أو العربية الجنوبية.

الثاني ـ الطور الأوسط : ويدخل فيه مجموعة اللغات (اللهجات) العربية القديمة التي تستخدم أداة التعريف (هـ) في أول الاسم، واصطلح على تسميتها اللحيانية والثمودية والصفوية.

الثالث ـ الطور الحديث : ويدخل فيه مجموعة اللغات (اللهجات) العربية التي تستخدم أداة التعريف (ال) في أول الاسم، واصطلح على تسميتها العربية الشمالية. ونرى أن **المرحلة الأولى من برنامج (فريق العمل)** يجب أن تكون **البدء بدراسة لغوية لبعض اللهجات الموجودة في شرق شبه الجزيرة العربية (في منطقة الخليج) ولبعض اللهجات الموجودة في جنوب شبه الجزيرة العربية (في اليمن) ولبعض اللهجات البربرية الموجودة في شمال إفريقيا.** ويتوجب في هذه المرحلة الاهتمام بشكل خاص بدراسة النقوش المكتوبة بالخط المسند التي عثر عليها في اليمن وفي شمال شبه الجزيرة العربية وشرقها. كما تستلزم هذه المرحلة **تنظيم رحلات علمية تنقيبية للبحث عن مزيد من الشواهد المكتوبة بالخط المسند في اليمن ومنطقة الخليج.**

أما **المرحلة الثانية** من برنامج (فريق العمل)، فستكون **القيام بالموازنة بين تلك اللهجات واللغة العربية الشمالية (اللغة العربية الفصحى)**، لبيان ما إذا كانت المادة اللغوية لتلك اللغات (اللهجات) تدعم ما وصلنا إليه نظريا من أنها كلها كانت ترجع إلى طور لغوي تاريخي قديم واحد هو ما سميناه الطور القديم من أطوار اللسان العربي.

إن لتنفيذ برنامج (فريق العمل) بمرحلتيه أهمية كبيرة وقد تكون بالغة الخطورة، لأن النتائج العلمية التي سيفضي إليها قد تكشف حقائق علمية «مذهلة» لأنها مغايرة تماما لما هو سائد إلى الآن في التاريخ القديم لشعوب المنطقة العربية وتاريخ لغاتها المختلفة.

المشروع الثاني : تشكيل فريق عمل لدراسة بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم.

ينطلق فريق العمل من فهم (أسرار اللسان العربي) التي كشفتها دراستنا للغة العربية في ضوء نظريتنا العامة حول نشأة الإنسان واللغة الإنسانية. استندت نظريتنا العامة إلى **منهجنا التاريخي العلمي** الذي تنبع أسسه من اتجاه مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية الذي بلوره ابن جني (في الخصائص) وعبد القاهر الجرجاني (في دلائل الإعجاز) في نظريتين لغويتين متتامتين. لقد مكننا منهجنا التاريخي العلمي من تحديد الأصل والفرع في العربية على محور الزمان. واستطعنا بفضل ذلك أن نكشف أسباب تمتع العربية بخصائصها البنوية المميزة. وقمنا بعد ذلك باستخدام **المنهج الوصفي الوظيفي (الذي يصف البنية اللغوية ويبين وظيفتها الإبلاغية)** لدى وصف قواعد صرف العربية ونحوها في مرحلة ما بعد اكتمال النظام الصرفي والنحوي للعربية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن **استخدام منهجنا اللغوي مكن الأستاذ الدكتور المهندس محمد شحرور من الكشف عن وجوه جديدة في إعجاز القرآن الكريم وذلك في كتابه (الكتاب والقرآن ـــ قراءة معاصرة)**(**).

كما نشير بهذا الصدد إلى أن استخدام منهجنا اللغوي مكن الأستاذ عمار ساسي من الكشف عن

(**) الأهالي ـ دمشق ـ الطبعة الأولى ـ أيلول (سبتمبر) 1990.

وجه جديد في إعجاز القرآن هو الإعجاز البياني في آيات الأحكام، وذلك في رسالة الماجستير — التي أعدها بإشرافنا في جامعة الجزائر وناقشها في تموز / يوليوز 1992 — وعنوانها : **في إعجاز القرآن الكريم (دراسة الإعجاز البياني في بعض آيات الأحكام)**. وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ عمار ساسي **ميز نوعين من (الإعجاز البياني في القرآن الكريم)** : الأول ـ **الإعجاز البياني بالمفهوم الاصطلاحي (البلاغي)** المعروف، والثاني ـ **الإعجاز البياني التفصيلي بالمفهوم اللغوي الأصلي لكلمة (بيان)** وهو الوضوح الدقيق والتفصيل الشامل والكشف الجلي للشيء.

ونقتبس فيما يلي فقرتين مما كتبه الأستاذ عمار ساسي في رسالته :

«يرتبط مفهوم الإعجاز البياني التفصيلي ارتباطا مباشرا ووثيقا بآيات الأحكام التي يقصد منها توصيل الأحكام الشرعية في لباس واضح وجلي في دلالته ومفصل في عباراته بحيث لا خلل ولا نقصان ولا تأويل فيها عبر الزمان والمكان. وهذه الصياغة التفصيلية المحكمة في آيات الأحكام الخالية من الصور البيانية البلاغية، لا يقصد في خطابها الفئة الخاصة العارفة من الناس دون غيرها، إنما هي للناس كافة — الخاصة منهم والعامة. والأحكام هي قوانين وقواعد عملية تحدد العلاقات بين الناس كما أنها تضبط نظام الحياة بينهم في كافة المجالات، ولهذا كان الواجب أن تتوحد الأفهام فلا اختلاف ولا تأويل لأن الحكم يشمل الجميع» / المقدمة، ص 6 — 7.

«الآيات المتشابهات في القرآن الكريم، بحكم شمولها على أكثر من معنى وعلى أكثر من صورة بيانية، يتعلق بها الإعجاز البياني (البلاغي)... وتحتاج إلى تأويلها باستمرار من قبل الراسخين في العلم لكشف معانيها التي تثبت صلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان. أما الآيات المحكمات (آيات الأحكام) في القرآن الكريم، بحكم ثبوتها على معنى واحد، لا تحتاج إلى التأويل.. إن الآيات المحكمات (التي تشتمل على الإعجاز البياني التفصيلي) تحتاج من أولي الأمر التشريعي إلى الاجتهاد باستمرار في كيفية تطبيقها تبعا لظروف الحياة المتجددة، بحيث تتأكد صلاحية أحكام القرآن الكريم لكل زمان ومكان، وذلك اقتداء باجتهاد الخليفة عمر رضي الله عنه في التوقف عن إعطاء المؤلفة قلوبهم من أموال الزكاة» / المقدمة، ص 8.

المشروع الثالث : تشكيل فريق عمل للقيام بدراسة مقارنة للغتين العربية والانجليزية.

يتبنى فريق العمل مقولتنا : **أصل الاشتقاق في النظام القواعدي (الصرفي والنحوي) في جميع اللغات الإنسانية هو الصيغة العامة للطلب (الأمر) للشخص الثاني.**

في المرحلة الأولى من برنامج (فريق العمل) نقوم بإعادة النظر في وصف النظام القواعدي (الصرفي والنحوي) للانجليزية، انطلاقا من أن أصل الاشتقاق في الانجليزية هو الصيغة العامة للطلب (الأمر) للشخص الثاني.

وفي المرحلة الثانية من برنامج (فريق العمل) نجري موازنة بين اللغتين العربية والانجليزية.

وفي المرحلة الثالثة من البرنامج نستند إلى نتائج المقارنة بين اللغتين في **اقتراح طرائق جديدة لتدريس اللغتين العربية والانجليزية لغير الناطقين بهما وللترجمة من الواحدة إلى الأخرى.** ثم نضع **المناهج** التي تتماشى مع الطرائق الجديدة، ونقوم بتأليف **الكتب** اللازمة وفقا لتلك المناهج الجديدة.

خامسا ـ مشروع طموح :

بالاستناد إلى ما قررته نظريتنا العامة الجديدة من أن القانون الأساسي في جميع اللغات الإنسانية هو مبدأ تقطيع السلسلة الصوتية للكلام الإنساني إلى مقاطع صوتية يتألف منها، نرى **ضرورة إدخال تغيير جوهري على نظام الحاسوب** (الكومبيوتر).

لذا **نقترح تشكيل فريق عمل** ـــ نسهم فيه إلى جانب مهندسين وتقنيين مختصين بالمعلوماتية (إنفورماتيك) ـــ **للقيام بدراسة إمكانية وضع تصميم جديد لحاسوب** يعتمد مبدأ تقسيم السلسلة الكلامية إلى مقاطع صوتية متميزة، تجمعها أوزان محددة في كل لغة حسب الخصائص المميزة لبنيتها.

ونرى أن **النجاح في وضع التصميم الجديد لمثل هذا الحاسوب سيفتح آفاقا لا حدود لها للترجمة الآلية ولتطوير جذري للأبحاث الخاصة بالذكاء الاصطناعي.**

€€€ €€€ €€€ €€€

استدراك

في مقالة سابقة للدكتور جعفر دك الباب نشرت في العدد 37 تحت عنوان : "المدرسة اللغوية الدمشقية الحديثة" ورد خطأ في صفحة 85، السطر الرابع، العمود الايسر من الأعلى، جاء كالتالي : "حين قرروا أن الأصل في المعجم مادة أصلية" ؛ والصواب هو : "حين قرروا أن الأصل في المعجم ليس صيغة الفعل الماضي، ولكنهم لم يصيبوا حين قرروا أن الأصل في المعجم مادة أصلية". فمعذرة.